

باطلك عندهم منزلة الحق؟ وان تجلس جورك مجلس العدل؟ وان تقيم  
سيئاتك مقام الحسنات؟ وان تقدر ذائقك مقعد الفضائل؟ ولعلك اغتررت  
بتجيد وتمظيم المبصعين وتجميل المتزلفين أمامك

ولو كنت تعلم مقامك في النفوس . ومنزلاتك لدى ارباب البصائر  
والعقول لودعت هذه الدنيا الخؤون التي ألتكت وفارقت حياتك العزيزة  
التي طالما افتديتها بالمرؤة والانسانية

وأما اتمم بالبناء الشرق فلا اخاطبكم ولا اذكركم بواجباتكم فانكم قد  
أنتمم الذل والمسكنة والمعيشة الدنيئة واستبدتكم القوة بالتأسف والتلف  
صرتم كالعجائز علي تقدرون على الدر، والاقدام والجل فمع والمنع والرفع  
فانا لله وانا اليه راجعون :

هـ نقلًا عن العدد ٣٣ من جريدة مصر التي صدرت في الاسكندرية

في ٢٢ صفر سنة ١٢٩٦

## باب التوسل والتعلم

هو الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴿

(١٨) من اراسم الى هيلانة في ١١ يونيه سنة - ١٨٥  
قد يسأل سائل هل التفكير مما يتعلمه الطفل؟ فاجيبه اني اعتقد ذلك  
غير انه ينبغي التمييز التام بين ما يتلقاه عن غيره من الافكار وبين ما يستنتجه  
هو منها بنظره الى الاشياء . ونحن في مخاطبتنا معه لا نفعل شيئاً سوى

تأدية أفكارنا إليه على وجه التمام أو النقص مع ان الذي كان يجب علينا ان نصرف همنا إليه هو ايقاظ ذهنه واستنباط افكاره وآرائه . انك تجد ان اذهان من يباشرون الكبار من الاطفال محشوة بجمل من الكلام لا يفهمون منها في معظم الاحيان الامتاني في غاية التشابه والالتباس وليس شمن اذهانهم بهذه الجمل مما ينمي فيهم قوى الادراك والنهم بحال من الاحوال ولكنه ابهاظ لها بما ليس من حقه ان يكون فيها . وكما لاقت في سالف أيامي اطفالا يشتهرهم الناس بكونهم آيات في الذكاء والقطعة فرأيت ان كل ما يدعى لهم من العقل ينحصر في انطلاق ألسنتهم بما لا معنى له من القول وكنت عند نظري اليهم وهم في توثقهم واعدادهم انفسهم لنوال الشهادات المدرسية يعروني من انقباض النفس وضيق الصدور ما يعررك رؤيتك المتصنين المدعين بما ليس فيهم وهو وجدان كان يتولى عليّ فلا أجد سيلاً الى دفعه وكنت أقول في نفسي ان المشتغلين بتربيتهم يسلبونهم اليسير الذي آتاهم الله سبحانه من المواهب الخفية بتعليمهم إياهم افانين القول وأساليب الكلام ليسمومهم بسبات العقل الذي لما يبنوا رتبته . اما والله لو كان لي الخيار لاخترت « لاميل » ان يصدر عنه فكر ساذج وان واحداً فقط يكون منبعثاً عن محض اختياره وكسبه ولفضلت هذا على كل ذلك الزخرف القولي والثروة التي لا نسبة بينها وبين العقل .

اذا نظرت الى الكون رايته مملوءاً باناس يتكلمون بما يوجد في الكتب فان كل من يسمعهم يذكر انه طالع فيها جميع ما يقولونه والخطأ في هذا الامر راجع الى تربيتهم لانهم قد تعلموا من نشأتهم ان يرددوا آراء غيرهم .

الأم بالنسبة لولدها هي المجتمع الانساني بل المثال الحي لا نار السلف ولا يشك احد في انها مكلفة بان تلمه كثيراً ولكن يجب عليها في تعليمها هذا التلميذ الصغير ان تكون على غاية الحذر من ان تلقى في نفسه الخوض للالفاظ والاستمباد لها . ذلك ان هذا الامر ليس من شأنه ان يفتح مغلق عقله بل ان فيه اغاظة لينبوع المعارف الحققة ولا بدع في ذلك الا ترى ان الناس قد سموا اعمالاً كثيرة قدستها المادة فروضاً مع رفض العقل اياها وعدم تسليمها وان الحق قد دمع جميع الاباطيل على التعاقب وان القوة في كل زمن تسلب الحق ماله من موجبات الشرف والاعتبار . فمن لم يبلغ به علمه الى الاحتراس من غرور القول وباطله والسير في ظلمات اللغة الانسانية على هدى فذلك الذي يعيش دهره مفتوناً بزخرفها أسيراً في ربقتها .

فالذي يجب علينا للطفل هو تعريفه بحالة الكون المحيط به ( تعريفياً يكون بلا شك في غاية التصور على الظواهر والاقتصار على ما لا بد له من معرفته ) فان الكون كله معان . أريد بذلك ان كل شيء مؤثر من شأنه ان يفعل في عقل الانسان ويولد منه أفكار . ومن ظن ان الاطفال بعد انقضاء سنتين او ثلاث من عمرهم لا يكونون مفكرين فقد ظلمهم وحط من قدرهم نعم ان افكارهم ليست كأفكارنا في جميع الاحوال وذلك مما يدعوننا أيضاً الى اعتبارها وعدم اغفالها وقلما يوجد طفل لا يبتدى بنفسه الى ما يعلمه القائمون عليه اياه اذام تكلفوا اقامته على طريقه فعليهم ان يستعينوا بالتجربة والتمرين على ازالة بعض ما تقع فيه مشاعره من الاغلاط وان يحثوه بالاشارة والكلام على النظر والملاحظة فاذا فعلوا ذلك

سهل عليه بما يجريه من الاقيسة ربط الحوادث بعضها ببعض وارجاع بعضها الى بعض كارجاع استطالة ظل الرمح مثلاً الى انحدار الشمس عن اوجها واصبح القياس بهذه الطريقة ملكة راسخة في نفسه على ما يفيد اياه من العلوم الاولية فان في اسناد الحوادث بعضها الى بعض تعليماً للحكم عليها . اه

(١٩) من اراسم الى هيلانه في ١٠ يولييه سنة - ١٨٥

قدم المسجونون بالهرب من سجن . . . وشرعوا في ذلك فعلاً فانكشف امرهم واستقرئين في الصحف تفصيل هذه الواقعة . كانت الاحوال كلها مساعدة لنا على هذا الهرب وناهيك بليل غاب بدره وريح اشتدت عواصفه ومطر انهمرت سيوله على جدران السجن ولكننا اخفقنا بعد ان قطعنا اصعب العقبات واشدها واوشكنا ان نفوز بالنجاة .

فليت شعري ماذا عسى ان تكون عواقب هذه الحادثة . ارى بحسب ما يبدو لي ان سيكون من نتائجها زيادة التشديد في مراقبة المساجين وان المراسلات مع ما كانت مخفية به من العوائق ستكون على خطر مدة طويلة ولست ادري ان كان هذا المكتوب يصلك ام تحول دونه الحوائل واني ارجو ايها العزيزة هيلانه ان لا يوجدك على هذا الامر فاني لم استطع ان اصم اذني عن نداء الفطرة التي تدعوني اليك والى ولدنا . اه